

شعب الإيمان

- 298 - أخبرنا أبو سعد الماليني أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ قال : سمعت عمر بن محمد الوكيل يقول : حدثني معاذ بن المثنى ثنا سوار بن عبد الله ثنا الأصمعي قال قال ياء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن أبي العلاء فقال له : .
- يا أبا عمرو ! الله يخلص وعده ؟ قال : لن يخلص الله وعده قال عمرو : فقد قال : قال أين ؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها عمرو فقال أبو عمرو : من العجمة أتيت و الوعد غير الإيعاد ثم أنشد أبو عمرو : .
- (و إني و إن أوعدته أو وعدته سأخلف إيعادي و أنجز مواعي) .
- قال البيهقي C فإن قيل : فقد قال الله سبحانه : .
- { و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها } .
- قيل هكذا نقول الحدود اسم جمع و إنما يصير متعدياً لحدود الله تعالى اجمع بترك الإيمان و تارك الإيمان يخلد في النار .
- فإن قيل : قد قال : .
- { وإن الفجار لفي جحيم * يصلونها يوم الدين * وما هم عنها بغائبين } .
- قيل : و قد قال : .
- { إن الأبرار لفي نعيم } .
- و الفاسق المؤمن بر بإيمانه .
- فإن قيل ليس برا مطلقاً .
- فإن قيل : فجوره أحبط إيمانه .
- قيل : لي الفصل بين هذا قول و بين من يقول من المرجئة أن إيمانه أحبط فجوره فدل أنه أراد بالفجار الذين قابل بنبيهم و بين الأبرار الكفار لأن رأس البر الإيمان و كذلك رأس الفجور الكفر و الذي يدل على صحة ما ذهبنا إلى قوله الله عز و جل : .
- { إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً } .
- و قوله : { لا أضيع عمل عامل منكم } .
- و قوله : { إن الله لا يظلم مثقال ذرة و إن تك حسنة يضاعفها و يؤت من لدنه أجراً عظيماً } .
- و قوله : { فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره } .
- و قوله : { يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً } .

و قوله : { فالذين آمنوا منكم و أنفقوا لهم أجر كبير } .

و قوله : { وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات } .

و قوله : { هل جزاء الإحسان إلا الإحسان } .

فهذه الآيات و ما ورد منها في معناها كلها تدل على أن الله تعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا و أحسن الأعمال الإيمان بالله و برسوله .

و من قال : بتخليد المؤمن في النار كان قد أضاع أجر عمله و لم يجعل له عوضا و لأننا وجدنا الله عز و جل وعد على الطاعات ثوابا و على المعاصي عقابا فليس لأحد أن يقول يرى ما عمل من المعاصي دون ما عمل من الطاعات و قد عملها جميعا إلا و لآخر أن يعكس ذلك فلا يجد القائل بذلك فضلا و أنا قد جمعنا على حصول طاعاته و اختلفنا في زوال حكمها فلا يرفع حكم ما تيقناه من حصول الطاعات بمعصية لا تنفيها و لا تضادها .

و احتجوا في إبطال الشفاعة بقوله عز و جل :

{ ما للطالمين من حميم و لا شفيع يطاع } .

فالطالمون هنا هم الكافرون و يشهد لذلك مفتتح الآية إذا هي في ذكر الكافرين فإن احتجوا بقوله : { و لا يشفعون إلا لمن ارتضى } .

قيل : هذا دليلنا لأن الفاسق مرتضى بإيمانه قال الله عز و جل :

{ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا } .

واصطفينا و ارتضينا واحد في اللسان ثم قال : { فمنهم طالم لنفسه } أي من المصطفين طالم لنفسه و الظلم هو الفسق فأخبر أن فيهم طالما و قال في قصة يونس { إنني كنت من الظالمين } .

و قد روينا من أوجه عن النبي صلى الله عليه و سلم في قوله تعالى : { ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا } قال : كلهم في الجنة و هو في الجزء السابع من كتاب البعث المذكور بشواهد .

و قيل معناه :

{ إلا من ارتضى } أن يشفعوا له كما قال : { من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه } .

قال الحليمي C : و لا تحتل الآية غير لأن المرتضين عند الله لا يحتاجون إلى شفاعة ملك و لا نبي فصح أن المعنى ما قلناه و لا يجوز أن يقال إن عز و جل لا يرتضي أن يشفع لصاحب الكبيرة لأن المذنب الذين يحتاج إلى الشفاعة فكلما كان ذنبه أكبر كان إلى الشفاعة أحوج فكيف يجوز أن يكون اشتداد حاجته إلى الشفاعة حائلا بينه و بين الشفاعة ؟ و ليس امتناع الشفاعة للكافرين لأن ذنبه كبير و لكنه بجحده الباري المشفوع إليه أو الرسول الشافع له أو لأن الله تعالى أخبر أنه لا يشفع فيه أحدا و هذه المعاني كلها معدومة في صاحب الكبيرة

من أهل القبلة .

وقوله : { يوم لا تملك نفس لنفس شيئا } لا يدفع الشفاعة لأن المراد بالملك الدفع بالقوة و إنما الشفاعة تذلل من الشافع للمشفوع عنده و إقامة الشفيع بذلك من المشفوع له فلا يوم أليق به و أشبه بأحواله بيوم الدين .

و قد ورد عن سيدنا المصطفى صلى الله عليه و سلم في إثبات الشفاعة و إخراج قوم من أهل التوحيد من النار و إدخالهم في الجنة أخبار صحيحة قد صارت من الاستفاضة و الشهرة بحيث قاربت الأخبار المتواترة و كذلك في مغفرة الله تعالى و تبارك و تعالى جماعة من أهل الكبائر دون الشرك من غير تعذيب فضلا منه و رحمة و الله واسع كريم .

قال البيهقي C : و قد ذكرنا هذه الأخبار في كتاب البعث و النشور و نحن نشيرها هنا إلى طرف منها قال عز و جل لمحمد صلى الله عليه و سلم : { و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا } .

و رويان في الحديث الثابت عن يزيد الفقير عن جابر بن عبد الله ما دل على أن ذلك في الشفاعة و كذلك عن حذيفة بن اليمان و ابن عمر و غيرهم